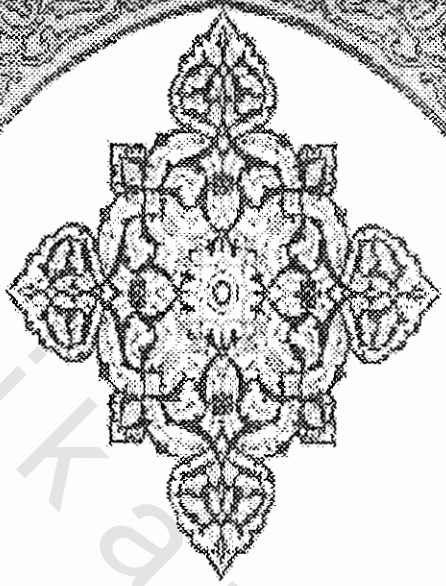

سورة محمد

obeikandl.com

﴿ سورة محمد ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

﴿ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٤﴾ ﴾

إعلام من حضرة الله تعالى للمؤمنين بالثبات فى لقاء العدو وإرهابه بشتى الطرق، وكذلك السالك إلى حضرة ربه تعالى يجب عليه قتل الهوى والشيطان وإخضاع النفس إلى مراده حتى يذلها وإلا صار هو الخاضع لهذه الحجب.

﴿ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ ﴾

اعلم أن الهدية الربانية بإصلاح البال هى من أعظم أركان الوصول إلى حضرة الله تعالى. والبال هاهنا هو المعبر عنه عندنا بالمزاج وهو الذى تكلم عنه الشيخ الأكبر محى الدين بن عربى فى كتابه الذى صنفه فى أسرار الخلوة، وبرق وحدق إلى أهمية استقامة المزاج عند العارف، لكونه أحد الركائز الموصلة له إلى حضرة الله تعالى.

﴿ وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ ﴾

تكلم العارف الشعرانى على هذا المقام فى كتابه المنن وذكر أن العارف الحق من يعرفه الله تعالى بمقامه فى الدنيا، فيطلعه

على بساتينه في الجنة وقصوره ودوره إلى أن قال: وقد اطلعت بحمد الله تعالى على قصوري ودوري في الجنة ورأيت ذلك وأنا لم أزل في الدنيا.

أقول: وهم لهم اقتداء بإمام حضرتهم سيدنا وشفيعنا محمد بن عبد الله ﷺ فإنه اطلع على الجنة ومعه أصحابه وأخبرهم بذلك، وكذلك ورد في الحديث أنه رأى بلالاً ﷺ في الجنة يتقدمه، وكذلك ورد في الحديث أنه رأى قصراً لعمر ﷺ في الجنة.

وأما الآية الكبرى فحادثة الإسراء والمعراج، والتي اطلع فيها ﷺ على العالم العلوي فرأى جنانه ونيرانه.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ۝٧ ﴾

تنصروا الله بمخالفتكم لشهواتكم وقتلكم لهواكم فحينذاك ينصركم بتثبيت أقدامكم في مقامات التمكين ونقلها من بحار التلوين.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ۝١٢ ﴾

لاتحادهم في الصفة، بل هم أضل من الأنعام لكون الحق تعالى أعطاهم العقل فنبذوه، ورجعوا إلى درجة البهيمية وتخلوا عن عقولهم فاتحدوا مع البهائم في صفة انتزاع العقل، وإلا لو تدبروا في ملكوت الله عز وجل لعلموا أن هناك خالقاً للكون وآمنوا به.

﴿ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾

سرد لأوصاف الجنة ومتعها التى تخلى عنها المقربون ولم يحبوا الجنة إلا لأنها دار الرؤية الإلهية فهى شرفهم فقط، وهم أحبوها لأجل هذا الغرض فقط.

﴿ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ ﴾

إنذار للعارف باقتراب أجله ووجوب اغتنام وقته وتحذير له من تضييع عمره فيما لا يعينه.

﴿ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾ ﴾

تعريف لأهل الله فى مقام الفتح بعدم شغفهم بما فتح الله به عليهم وانشغالهم به، بل المتعين عليهم الخروج عن هذه المعوقات إلى الفناء فى العين الإلهية.

إلا إن الوجود بلا محال خيال فى خيال فى خيال
ولا يقظان إلا أهل حق مع الرحمن هم فى كل حال

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ ﴾

وقد مكث سيدنا عمر ﷺ أربع سنين يتدبر سورة البقرة ويتفهمها، وقال سيدى إبراهيم الدسوقى ﷺ: لو شرحت لكم النقطة التى تحت الباء لتقطعت القلوب ولاهتزت من ذلك أفئدة العارفين، ويقول أبو هريرة ﷺ : حملت عن رسول الله ﷺ وعاءين فواحد منهما بثثته فيكم وأما الآخر فلو بثثته فيكم لقطعتم منى البلعوم.

﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَـٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَـٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ ﴾

وهى معرفة باطنية لها إشارة مخصوصة عند أهل الله تعالى يعلمون بها ويتحققون بها من أهل المعاصى والذنوب، وهى المشار إليها بلحن القول.

كما ورد أن أحد العارفين كان يعرف الزانى من علامة سوداء بأنفه.

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ ﴾

أقامهم فى ميادين الامتحانات، ليصفيهم من كدورات الدنيا ودنس الشهوات، وليعلم أخبارهم الأولى الأزلية، والتى بثها فيها منذ ألست بربكم وهو المشار إليه بقوله:

﴿ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴾.

﴿ فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ ﴾

إشارة للعارف بعدم وضع سلاح المجاهدة ومسالمة عدوه، بل يجب عليه أن يضعه نصب عينيه، وصدق الحلاج رضى الله عنه عندما سأله تلميذه وهو على خشبة الصلب فقال له: أوصنى. فقال له: هى نفسك إن لم تشغلها شغلتك.

﴿ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا۟ وَيُخْرِجْ أَضْغَـٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ ﴾

هؤلاء هم ضعاف القلوب الذين لم تقو قلوبهم بعد، فما بالك بمن جاء بماله كله لرسول الله ﷺ حتى قال له المصطفى ﷺ: ماذا أبقيت لأهلك يا أبا بكر؟

فقال له: أبقيت لهم الله ورسوله .